مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (37) العدد (3)2015
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (37) No. (3) 2015

الرسائل الدبلوماسية المخصّصة في ديوان الانشاء المملوكي لحكام الدول المسيحية في الشرق (السابع و الثامن الهجريين/الثالث و الرابع عشر الميلاديين)

الدكتورة غادة حسن*

(تاريخ الإيداع 31 / 12 / 2014. قبل للنشر في 28 / 5 / 2015)

□ ملخّص □

شهد النصف الثاني من القرن السابع وبداية القرن الثامن الهجريين/ النصف الثاني من القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر الميلاديين، تطوراً كبيراً في العلاقات الدبلوماسية بين المماليك البحرية في مصر وبلاد الشام وحكّام الدول المسيحية في الشرق. هذه العلاقات كانت تتمثل في تبادل السفارات والمراسلات وتوقيع المعاهدات. وتركز هذه الدراسة على دور ديوان الانشاء المملوكي في هذه العلاقات، وذلك من خلال معرفة القواعد و النظم الدقيقة التي وضعها للتراسل مع هؤلاء الحكام وتحديداً الالقاب التشريفية. كما عالج البحث مسألة تعدد اللغات المعمول بها في السلطنة المملوكية استناداً الى كتب الإنشاء المملوكية.

الكلمات المفتاحية : المماليك، الدول المسيحية، الشرق، ديوان الإنشاء، الدبلوماسية، المراسلات، اللغة، الترجمة.

* دكتورة – قسم التاريخ– كلية الاداب– جامعة تشرين– اللاذقية– سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (37) العدد (3)2015
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (37) No. (3) 2015

Diplomatic Correspondence Established in Mamluk Chancellery to Christian Rulers in the East (7-8AH/13-14AD)

Dr. Ghada Hassan*

(Received 31 / 12 / 2014. Accepted 28 / 5 / 2015)

□ ABSTRACT □

The second half of the seventh century and the beginning of the eighth century AD and the second half of the thirteenth and early fourteenth centuries have witnessed a great development in diplomatic relations between the Mamluk bahri in Egypt and Syria and the various Christian powers in the East. These relationships were in the form of several diplomatic means such as ambassadors, letters, and signing treaties. This study focuses on the role of chancellery of Mamluks in these relationshipsthrough knowing the rules and accurate systems developed by messaging these rulers, specifically ceremonial honors. Finally, this study treats the constraints of multilingualism in the Mamluk sultanate based on the chancellery Mamluk handbooks.

Keywords: Mamluks, Christian states, Orient, Chancellery, Diplomatic, Letters, langue, translate.

* **Doctor , department of history, Faculty of Arts, University of Tishreen, Lattakia, Syria.**

مقدمة:

عرّف البعض الدبلوماسية على أنها علاقات سلمية رسمية بين الدول تتضمن عناصر و مقومات ومهام أساسية، منها التمثيل الدبلوماسي على هيئة إرسال السفراء والمبعوثين. كما تشمل المراسلات و المفاوضات وعقد الاتفاقات و المعاهدات، فالدبلوماسية تعبر عن مفهوم علمي له أصوله وقواعده المنظمة.والدبلوماسية عند المسلمين لا تخرج عن هذا الإطار في علاقاتهم بالدول غير الإسلامية، حيث ذهبوا في البداية الى تقسيم العالم الى قسمين أساسيين، دار الإسلام وهي البلاد التي تظهر فيها شعائر الإسلام وتطبق فيها أحكامه ، ودار الحرب وهي البلاد التي لم يغلب الإسلام على أهلها ولا تطبق أحكامه فيها [1]. ومع تطور العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية واقتضاء دخولها في علاقات سلمية مع جيرانها، قسموا العالم الى ثلاثة أقسام ، فأضافوا دار الصلح ، وبناء على هذا التقسيم الثلاثي أصبح من المألوف قيام علاقات دبلوماسية والارتباط بمعاهدات ومواثيق سلام بين الدول الإسلامية والدول غير الإسلامية وذلك على أساس من التعايش السلمي[2].

وهذا الاتجاه يوضح الى حد كبير كيفية تشكل وتطورالنظام الدبلوماسي عند المماليك البحرية الذين حكموا في مصر والشام من عام 648هـ/1250م الى 784هـ/1382م. فمن الواضح أن دولة المماليك البحرية سعت للتقارب مع "الدول المسيحية في الشرق"، بدرجات متفاوتة، والمقصود بهذا المصطلح الأخير هو الدول المسيحية التي كانت تعتبر جزءاًأساسيا من المنطقة كالدولة البيزنطية وأرمينيا الصغرى والحبشة ، بالإضافة للدول اللاتينية التي استوطنت في المنطقة كنتيجة للحملات الصليبية التي بدأت في القرن الحادي عشر ميلادي.ونظراً لتشعب العلاقات الدبلوماسية وكثرة تفاصيلها أصبح من الضروري وجود جهاز اداري خاص يعمل في تنسيق العمل الدبلوماسي، هذا الجهاز هو ديوان الإنشاء، وهو بمثابة مؤسسة مسؤولة عن ادارة وتنظيم المراسلات الدبلوماسية للدولة المملوكية. لقدوضع هذا الديوان بروتكولا دقيقا وصارما للرسائل خصوصا فيما يتعلق بالالقاب التشريفية المخصصة لكل حاكم، واللغات المستخدمة في المراسلات ومسألة الوسطاء أو المترجمين الذين مارسوا دوراً مهماً في نقل محتوى الرسائل المتبادلة بين الحكام وساهموا في التغلب على الاختلاف اللغوي بين هذين العالمين.

أهمية البحث و أهدافه

يهدف هذا البحث الى توضيح ماهية العلاقات الدبلوماسية بين المماليك البحرية وحكام الدول المسيحية الشرقية، وذلك من خلال تبيان دور ديوان الانشاء المملوكي في هذه العلاقات، والذي كان بمثابة وزارة للخارجية. كما يتطرق البحث الى تحليل الالقاب التشريفية في المراسلات الدبلوماسية للحكّام الاجانب، و كيف عكست هذه الألقاب نظرة الحكام المسلمين الى نظرائهم المسيحيين. كما يهدف الى معرفة الطريقة التي استخدمها المماليك وديوان الانشاء في التغلب على مشكلة الاختلاف اللغوي مع هذه الدول.

---

(1) ABEL, A., « D◐r al-✦arb », *EI²*, vol. II, p. 129-130.

(2) توفيق (عمر كامل): الدبلوماسية الاسلامية و العلاقات السلمية مع الصليبين، دراسات تحليلية وثائقية في التاريخ الدبلوماسي (690.491هـ/1291.1097م)، مؤسسة شباب الجامعة، 1986، ص24.23.

منهجية البحث

اعتمد البحث على جمع المادة العلمية من العديد من المصادر المطبوعة، و كذلك المراجع الحديثة، والمراجع الأجنبية، ومن ثم تحليلها ومقارنتها بهدف الوصول للحقائق العلمية المتعلقة بموضوع البحث ملتزماً بجميع قواعد منهجية البحث التاريخي من حيث دقة اللغة و حسن التعبير و سهولة الأسلوب.

الأرشيف و الوثائق الرسمية:

يتعين على الباحث في التاريخ الدبلوماسي أن يرجع الى الوثائق الرسمية من المراسلات الدبلوماسية والمعاهدات التي عقدت بين الطرفين لإيضاح حقيقة العلاقات الدبلوماسية المملوكية مع الدول الأجنبية، غيرأن البحث في هذا المجال يواجه صعوبات تتمثل في مشكلة أساسية وهي فقدان الغالبية العظمى من الوثائق الأصلية باستثناء بعض الوثائق المتعلقة بحجج الأوقاف الشرعية[3]. ويعود ذلك الى ضياع أرشيف الدولة المملوكية الذي اختفى لأسباب متعددة في مقدمتها تعاقب الدول والحكومات والحروب أو تعرضها للتلف والضياع أوربما نتيجة تعرضه للحرق أو بيعه من أجل استعماله في تجارة الورق [4] بحسب ما ذكر المقريزي.لكن مع غياب الأرشيف يبقى لدينا مصادر أخرى تفسح لنا المجال واسعا لفهم ودراسة طبيعة العلاقات الدبلوماسية للدولة المملوكية، وهي المصادر التاريخية والادبية التي عرفت بكونها "وإن لم تكن كاملة" فإنها على الأقل غزيرة بالمقارنة مع الفترات الأخرى بالتاريخ الإسلامي، وقد حفظت بعض هذه المصادر بشكل أو بأخر نسخ وثائق رسمية وخاصة، وهذا ما جعلها مصدرا للعديد من الدراسات التي كتبت حول المراسلات والمعاهدات التي عقدت بين حكام المماليك والحكام الأخرين من مسلمين ومسيحيين، ويجب الإلحاح على أن هذه المصادر ينبغي استخدامها مع كثير من الانتباه، فهي تطرح العديد من المشاكل وخصوصا تلك المتعلقة بالمصداقية[5]، إن نسخ هذه الوثائق متوافرة إما بكتب الحوليات أو بالموسوعات الديوانية، وهذا النوع الأخير هو الأكثر إفادة في اكتشاف التطور الدبلوماسي في العصر المملوكي، وقد كتبت من قبل العديد من المؤرخين في فترات مختلفة وهي تقدم الامكانية لإعادة تصوير كيفية عمل ديوان الإنشاء وعكس الواقع الفعلي لنشاط جميع الأشخاص المشتركين في الحقل الدبلوماسي. ومن أبرز هذه الموسوعات، كتاب "التعريف بالمصطلح الشريف" لشهاب الدين احمد بن فضل الله العمري[6]، وكتاب "التثقيف في التعريف" لتقي الدين ابن ناظر الجيش [7]، و"صبح الاعشى" للقلقشندي[8]، وهو الكتاب الأهم على الاطلاق.

---

(3)BAUDEN, F., « Mamluk era documentary studies: The state of the art », *M.S.R.*, vol. 9, n. 1, 2005, p. 15-60.

(4) المقريزي (تقي الدين أحمد ت. 841هـ/1442م) : المواعظ و الاعتبار في ذكر الخطط و الأثار، ج 3، ت. أحمد فؤاد السيد، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، لندن، 2002، ص 730.

(5) BAUDEN, F., « Mamluk era documentary studies », *op. cit.*, vol. 9, p. 19.

(6) ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد ت. 749هـ/1349م): التعريف بالمصطلح الشريف، ت. محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988.

(7) ابن ناظر الجيش (تقي الدين ت. 786هـ/1384م) : تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، ت. فيسيلي روبرت، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1987.

(8) القلقشندي (شهاب الدين أحمد ت. 821هـ/1418م) : صبح الاعشى في صناعة الانشاء، 14 جزءاً، المطبعة المصرية، القاهرة، 1919.1913.

فقد أراد القلقشندي من كتابهأن يكون شاملاً يجمع فيه بين العناية بالكتابة ونظام العمل في ديوان الإنشاء ليكون مرجعاً متكاملاً. ومما رفع من قيمة هذا الكتاب وميّزه عن غيره من الكتب هوالوثائق التاريخية التي جمعها القلقشندي ليستفيد منها كتّاب عصره في ديوان الانشاء وكتّاب الأجيال اللاحقة من ناحية صنعة الانشاء، وليس لأهميتها التاريخية أو الخبرية[9]، فجاء كتابه على شكل موسوعي يتفوق على ما سبقه من الكتب التي وضعت في هذا الموضوع [10]، بل يمكننا القول أن كتاب "صبح الاعشى" يكاد يغني عن العديد من الكتب التي سبقته وذلك لما اتصّف به من شمولية ودقة.

ويمدّنا كتاب القلقشندي بمعلومات هامة عن تاريخ ديوان الإنشاء وأصله في الاسلام و قوانين الديوان ومرتبة صاحبه ووظائف الديوان في مصرواختصاص كل منها في مختلف العصور والدول [11]،وأحجام الورق قديماً وحديثاً وأنواع المراسم ومصادرها واختصاصها، ويترك لنا الكتاب فهرساً مطولاً لألقاب الملوك وأرباب السيوف والعلماء والكتّاب والقضاة مرتبة على حروف المعجم، وقد وردت به شروح لسائر الصفات والألقاب التي نراها مدونة في مختلف الرسائل[12]. ويعالج القلقشندي مصطلحات المكاتبات الدائرة بين ملوك أهل الشرق والغرب، ويقدم لنا نماذج من معظم المكاتبات سواء الصادرة من البلاط المصري أو الواردة عليه، ومن ذلك نماذج فريدة مما ورد على ملوك مصر من مختلف الملوك المسلمين والتتار والنصارى وفي مختلف العصور، ويشتمل كتابه على مئات الوثائق والنصوص الرسمية والدبلوماسية التي تلقي الضوء على تاريخ مصر النظامي والإداري في عصور الخلفاء والسلاطين، وعلى سياسة مصر الخارجية في تلك العصور [13]، فالكتاب يحتوي مادة نفيسة من المعلومات التي لا يمكن أن نظفر بها في مؤلف اخر، ولهذا نراه مقصداً للكثير من الدراسات التي تعتمد عليه بحثاً عن تذليل الصعاب واكتشاف أساليب العمل المؤسس لديوان الإنشاء والمراسلات.

ديوان الإنشاء المملوكي

اتخذت كلمة الإنشاء سمة خاصة بها [14]، وأصبح لهذه الكلمة معنى وظائفي، أي أنها أضحت وظيفة لها شروطها الخاصة ومراسمها الذاتية، وقد تطور ديوان الإنشاء الذي كان يسمى بديوان المكاتبات أو ديوان الرسائل [15] بتقدم الأيام حتى بلغ ذروة التنظيم في العصر المملوكي نظراً لاتساع رقعة الدولة، وتعدد جهات اختصاصها واتصالاتها

(9) طليمات (عبد القادر أحمد): وثائق صبح الاعشى، أبو العباس القلقشندي و كتابه صبح الاعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973، ص 125.122.

(10) عنان (محمد عبد الله): أبو العباس القلقشندي و كتابه "صبح الاعشى"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973، ص 21.11.

(11) حبشي (حسن): ديوان الانشاء : نشأته و تطوره، أبو العباس القلقشندي و كتابه صبح الاعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973، ص 96.83.

(12) حول الألقاب التشريفية في العصر الأيوبي و المملوكي، انظر الباشا (حسن): الألقاب الاسلامية في التاريخ و الوثائق و الاثار، الدار الفنية للنشر و التوزيع، القاهرة، 1989، ص 577.

(13) عاشور (سعيد عبد الفتاح): كتاب "صبح الاعشى" مصدر لدراسة تاريخ مصر في العصور الوسطى،أبو العباس القلقشندي و كتابه "صبح الاعشى"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973، ص 70.25.

(14) ROEMER, R., « Insh❶' », *EI²*, vol. III, p. 1273.

(15) يعود الفضل في انشاء هذا الديوان الى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (ت. 487هـ/1094م) الذي أطلق عليه اسم ديوان الانشاء و المكاتبات و استمر في عهد الدولة الأيوبية والمملوكية.

لا سيما الخارجية منها بصورة جعلت من القائمين بالكتابة الديوانية هيئة خاصة، وهذا ما حمل هؤلاء العلماء على افراد موسوعات و كتب لهذا الموضوع كما ورد سابقا[16].

كان ديوان الإنشاء يعدّ من أهم دواوين الإدارة المركزية في مصر في العصر المملوكي، فهو عبارة عن هيئة إدارية للمكاتبات الرسمية إذ يشرف على تحرير الرسائل المتبادلة بين السلطان وولاته وامراءه وعماله في أقاليم السلطنة فضلاً عن تحرير رسائل السلطان الى الدول الأجنبية، كما كانت تصدر عنه جميع المناشير والمراسيم والسجلات والتوقيعات والملاطفات، وفيه كانت تحفظ أو تخلد الرسائل الواردة من ملوك الدول الأخرى والمعاهدات والمهادنات والاتفاقيات الأخرى سواءًأكانت اسلامية أو دول صديقة أو معادية. كان ديوان الإنشاء يضع الألقاب والأدعية وأساليب المخاطبة اللازمة لذلك، ويحدد نوع الورق الذي يكتب فيه لكل كيان سياسي بما يتناسب وعقيدته وقوته العسكرية والسياسية ومركزه الاقتصادي، ومكانته بالنسبة للدول المملوكية [17].و قد حدد المؤرخون شروطا معينة يجب توفرها في منيتولي أمر هذا الديوان الذي كان يطلق عليه اسم "كاتب السر" أو" كاتم السر" [18]، فلا بد أن يتخير من أرفع طبقات الناس ومن أهل الكفاءة والثقافة والدراية السياسية، كما كان يشترط فيه أن يتقن اللغة العربية، ومطلعاً على العلوم الشرعية وعلم الأخلاق والسياسة والأحكام السلطانية، وكان يتوقع منه أن يكون عارفاً باللغات الأعجمية وتاريخ الفرس والروم والبربر والهنود. هذه المتطلبات تعطي صورة واضحة عن المستوى الفكري والإداري الذي يجب على رئيس ديوان الإنشاء المملوكي أن يصل اليه ليتمكن من اداء عمله على أكمل وجه. وعلى ذلك فإن صاحب هذا الديوان كان يعدّ في العصر المملوكي من أهم شخصيات الدولة بعد النواب والوزراء.

الألقاب التشريفية

كانت الكتابة في الرسائل الدبلوماسية المملوكية مع حكام الدول المسيحية تبدأ بالطغرى [19]تليها البسملة ، ثم يليه اسم المرسل له مترافقا مع الألقاب التشريفية حسب مكانة المرسل له والاطار الذي ارسلت فيه الرسالة [20]، وقد درجت العادة أن يقرن اسم المرسل اليه بلقبه المعروف به أو بالقاب اصطلح عليها وهذه الألقاب كان لها شأن هام ايام الفاطميين والأيوبيين ووصلت الذروة في استخدام هذا النوع من الإنشاء في العهد المملوكي.

وهذه الألقاب اصبحت في الواقع دلالة أو رمزاًواضحا للصورة التي يريد ديوان الإنشاء اعطائها للحاكم. وحفظت الألقاب احترام ومقام الأشخاص في معظم الأحيان، فقد كانت تعكس مكانة الشخصعند المماليك سواءً الدينية أم

---

(16) حبشي، ديوان الانشاء، مرجع سابق، ص 84.83.

(17) انظر العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، مصدر سابق، ص 36-84، ابن ناظر الجيش، تثقيف التعريف، مصدر سابق، ص 35.26، القلقشندي، صبح الاعشى، مصدر سابق، ج 8، ص 53.30.

(18) يشير القلقشندي الى أن العامة في مصر يبدلون الباء في كاتب السر بميم، فيقولون كاتم السرّ و يرد ذلك الى رأيين إما لأنه يكتم سرّ الملك، وإما من باب إبدال الباء بالميم على لغة ربيعة، ورجح القلقشندي فكرة كتمان السرّ بقوله "ولكنهم لا يعرفون الثاني". أنظر عاشور، كتاب "صبح الأعشى"، مرجع سابق، ص 86.

(19) الطغرى و تشمل اسم السلطان وألقابه التشريفية وكانت فاتحة للرسائل بالغة الاهمية، وكانت توضع في المراسلات الموجهة الى حكّام الدول المسيحية قبل البدء بالبسملة، وهي ممارسة ابتكرها الأتراك السلاجقة، طوّرها الأيوبيين والمماليك، لتصبح احدى علامات صحة الرسالة. أنظر

Favereau, F., « Comment le sultan mamlouk s'adressait au Khan de la Horde d'Or. Formulaire des lettres et règle d'après trois manuels de chancellerie (1262-1430), *Annales Islamologies*, vol. 41, 2007, p. 82-83.

(20) ابن ناظر الجيش، تثقيف التعريف، مصدر سابق، ص 27، القلقشندي، صبح الاعشى، مصدر سابق، ج 8، ص 26.25.

السياسية أم الاجتماعية والعسكرية. والدخول في تفاصيل سياسة الإنشاء يكشف لنا تنوعاً وفروقاً في التعامل على أكثر من مستوى ووفقاً لأكثر من حالة. يقول القلقشندي : "وهي ليست واقفة عند حد بل راجعة الى اصطلاح الكتّاب واختيارهم في زيادة الألقاب ونقصها والاتيان بلقب دون لقب مع رعاية المناسبة لكل مقام، ويهتدون في ذلك بأمرين الأول أن يعرف الكاتب ما هو حقيقي لصاحب اللقب والثاني أن يعرف الألقاب الخاصة ببعض الملوك دون بعض"[21].

وكان المسؤولون عن انشاء الرسائل على دراية كاملة بالمناصب التي يحملها شاغلوها، سواءً أكانوا من رجال الدين أو العلمانيين. وقد حرص كتّاب الإنشاء على وضع الألقاب التشريفية والرسوم الخاصة لمخاطبة كل واحد منهم. وبلغت الدقة لدى المسلمين في الالتزام بالقوانين والرسوم الخاصة بالمراسلات أن أعدوا سجلاً أو دفتراً خاصاً في الديوان احتوى جميع ما يخص ألقاب رؤساء الدولة الاجنبية بما فيهم حكام الدول المسيحية. وضم الدفتر ألقاب الملوك الأباعد والمكاتبين من البلاد المختلفة مع ترتيب صيغ الدعاء لهم ومقدارها. وكان هذا الدفتر حاضراً لدى كتّاب الإنشاء ليرجعوا إليه في مكاتباتهم وينقلون عنه ما يحتاجون إليه. ويحذّر القلقشندي كمسؤول في الإنشاء يدرك أهمية مراعاه الدّقة في رسم المكاتبات الدبلوماسية من خطورة عدم الالتزام بذلك فيقول: "ولا يتغافل عن ذلك (الكاتب) فإنه متى أهمل شئ من ذلك زلّ بزلّه الكتاب وصاحب الديوان والسلطان نفسه" [22]. فكان الكاتب ملزماً بتصفح ما يخرج من الديوان من المكاتبات، فلا يجوز أن يلقب احداً دون لقبه والا أنزله من مكانته وترتب على ذلك أمران أولهما أن يستقر في الأذهان أن الدولة الصادر منها الكتاب لا تعرف مجريات الأحداث والأمور خارج حدودها وأنها تعيش في عزلة، وثانيها أن مخاطبة المخاطب بلقب دون لقبه فيه حطّ من منزلته وما يترتب على هذا الخلط من تغير نفساني قد يؤدي الى تراخ في العلاقات أو تؤثر فيها، ولهذا نص القلقشندي " ان ينزل كل واحد من المكاتبين منزلته على ما يقتضيه مصطلح الزمان من علو وهبوط "[23].

وكان الكتّاب يكثرون الألقاب لملوك الاسلام أما الملوك الأجانب فكانوا يختصرون في ألقابهم لأنهم أقل مرتبة. وكانت هذه الألقاب تعكس تأثيرات بعض الأحداث السياسية والدينية والاجتماعية. وكان لكل لقب دعاء محدد وهو جزء لا ينفصل عن العنوان ويكون إما بإطالة البقاء أو بدوام السلطان أو بخلود المُلك وهذه الأدعية تستخدم بشكل عام للسلطان[24].أما بالنسبة لملوك المسيحيين فألقابهن كانت تسبق بصيغة اطالة البقاء، وهي أرفع درجات الدعاء[25].

في المقالة الثالثة من كتابه، القلقشندي يذكر لنا الألقاب التشريفية المستخدمة للتراسل مع حكام المسلمين وغير المسلمين "المسيحيين"، حسب تسلسل الأحرف الأبجدية، وهذه الألقاب كانت تكتب باهتمام كبير وحسب قواعد انشائية ودبلوماسية محددة جداً، وبشكل عام هي تتناول الصفات الشخصية والدينية ورتبة ومقام الحامل للقب. وهذه الألقاب إما أن تكون ألقاب مفردة بسيطة،أو ألقاب مركبة، كما أن هناك ألقاب مؤنثة، وهي بحالتين:أن يكون اللقب الأصل لمؤنث غير حقيقي مثل "الحضرة العالية المكرمة" [26]،أو أن يكون اللقب الأصل لمؤنث حقيقي (الملكة الجليلة). فالألقاب

(21) القلقشندي، نفس المصدر، ج6، ص 181.

(22) القلقشندي، نفس المصدر، ج1، ص 134، توفيق، الدبلوماسية الاسلامية، مرجع سابق، ص 151.

(23) حبشي، ديوان الانشاء، مرجع سابق، ص 90.91.

(24) ابن فضل العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، مصدر سابق، ص 17.

(25) القلقشندي، صبح الاعشى، مصدر سابق، ج6، ص 284.286.

(26) كان لقب "الحضرة" من الالقاب المخصصة للخلفاء، ولكن في عهد سلاطين المماليك، أصبح يستخدم للتراسل مع كبار موظفي الدولة من "أرباب القلم"، ومع ملوك الكفر أي المسيحيين، بالإضافة الى بطريرك الأقباط في مصر. أنظر القلقشندي، نفس المصدر، ج 5، ص 498.

المفردة التي تتكرر في جميع المراسلات مع الملوك المسيحيين، غالبا ما كانت تحمل معنى الشجاعة، والبأس، والرياسة، مثل لقب الجليل[27]، الخطير، البطل، الهمام، الباسل، الاسد، الغضنفر، الضرغام[28]. كما أن هناك ألقابا مركبة تحمل على سبيل المثال معنى واحداً، وهو العدل وقيام الملك بأمر دينه، و تحمل اعباء الرعية، مثل القاب "العادل في ملته"، العادل في مملكته"، "المنصف لرعيته". كما نجد ألقابا تشير الى عظمة الملك، واتساع مملكته، وعراقة نسبه "وراث ابائه في الاسرة والتيجان"،أو تضيف السطوة كلقب "مخول التخوت والتيجان"،فمعنى المخول هنا المُملّك ، والتخوت جمع تخت وهو كرسي الملك الذي يجلس عليه االملك في مجلسه العام، والتيجان جمع تاج وهو الذي يوضع على رأس الملك اذا جلس على تخته ، والمعنى انه يعطى الملوك، الممالك من تحت يده لسعة مملكته وعظمتها.

ولكل حاكم كانت له القاب منشئة جيداً في ديوان الإنشاء، ويجب أن يأخذ الكاتب بعين الاعتبار هذه الألقاب واحترامها عند التراسل مع الحكام[29]، ومن المهم أن نذكر هنا أن القاب الحكام المسيحيين المذكورة عند ابن فضل الله العمري تختلف عن الألقاب المنقولة عند ابن ناظر الجيش، وهذا بالتأكيد ليس خطأ ابن فضل الله العمري، فهذا الاختلاف من الممكن شرحه بالتغيرات الحاصلة في ممارسات ديوان الانشاء المملوكي نتيجة لتغير السلطة الحاكمة، وتبديل جميع الاشخاص الذين يمتلكون وظائف رسمية ولهم علاقات مباشرة مع ديوان الإنشاء.

والمكاتبة تصل الى درجة عالية من التفخيم والغلو عند التوجه الى ملوك البلاد الصديقة ويبرع ديوان الإنشاء في الفصاحة وادعاء الغيرة على المكانة والحفاظ على أعلى المقامات، لكن لا تلبث أن تتهاوى الألقاب وتختصر وتنحط المكانة عندما تخمد قوة دولة ما وتضمحل مكانتها [30]، ففي البروتكول المخصص للامبراطور البيزنطي نرى أن ابن فضل العمري يعطيه المكانة الأرفع بين جميع حكام المسيحيين المستقلين مانحاً اياه المرتبة الأولى في التخاطب.فبروتكول المكاتبة لملك بيزنطة نراه عند العمري يضم الى جانب ألقاب الشجاعة والسيادة ألقاباً تعظيمية لا يحظى بها غيره من الملوك : " ضابط الممالك الرومية[31]، جامع البلدان الساحلية، وارث القياصرة القدماء، محيي طرق الفلاسفة والحكماء، معز النصرانية مؤيد المسيحية، مخول التخوت والتيجان، اخر ملوك اليونان، ملك ملوك السريان، رضي الباب". هذه الألقاب تعكس تعظيماً واحتراماً من قبل المماليك لصورة ملك بيزنطة ومهارة دبلوماسية في ادارة العلاقات معهم بطريقة ترضي عقيدة تلك الدولة. فقد اعتاد المماليك التوجه الى حاكم بيزنطة في مراسلاتهم كرأس للأمة المسيحية وليس كرأس لدولتها، وكحامي للديانة المسيحية (ناصر، سند، عماد، ذخر الامة المسيحية والملة النصرانية)، طبعا تلك النظرة تجاه حاكم بيزنطة لم تقتصرعلى كتّاب الإنشاء المماليك، حيث يؤكد ديمتري كوربنيكوف على أن الاليخانيين شاركوا المسلمين نفس النظرة التي تعتبره رأسا للأمة المسيحية[32].

---

(27) يذكر القلقشندي، نفس المصدر، "أن المراد من لقب الجليل، و الذي يعني في اللغة العظيم ، الجليل بالنسبة الى ملوك الكفر ، والا فالكافر لا يوصف بالعظمة وكان الأحسن أن لا يكتب به اليهم، لا سيما وهو اسم من اسمائه تعالى".

(28)PENDINI, M. P., الضرغام و الغضنفر هي من اسماء الاسد، استخدمها سلاطين المماليك البحرية في ألقابهم. انظر « Mamluk Lions and Venetian Lions 1960-1961 », E.J.O.S., vol.7, 2004, n. 21, p. 1-17.

(29) يذكر ابن فضل الله العمري، أن الالقاب التشريفية المنشئة في ديوان الانشاء المملوكي و المخصصة لكل حاكم يجب أن تكتب "بالنص من غير زيادة و لا نقصان". انظر، ابن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، مصدر سابق، ص 28.

(30) القلقشندي، صبح الاعشى، مصدر سابق، ج8، ص 29.27.

(31) كلمة "ضابط" ، تعني حرفياً حاكم و سيد و متولي.

(32)KOROBEINIKOV, D.A., « Diplomatic correspondencebetween Byzantium Mamluk in the fourteenth century », Al-Masaq, vol. 16, n. 1, 2004,p. 64-65.

أما في البروتكول الذي خصصه ابن ناظر الجيش، فقد استمرت تلك النظرة التي تعتبر الحاكم البيزنطي رأسا للأمة المسيحية رغم المتاعب التي عانت منها الدولة في تلك الفترة، لكنه اضاف لها ألقابا جديدة أهمها"مالك البرغلية والاملاحية، صاحب امصار الروس والعلان،معز اعتقاد الكرج والسريان" [33]، فهذه الألقاب تظهر المكانة العالية للامبراطور البيزنطي على جميع حكام البلاد المسيحية الأخرى وتحديداً البلدان الداخلة في اطار سلطة الدولة الروحية. ومن هنا نرى أن ديوان الإنشاء قد خلق فكرة الرابطة العقائدية للدولة البيزنطية وجعل الامبراطور سيداً خارج حدود مملكته الفعلية، وشملت تلك الرابطة البلدان الارثوذكسية التي اعترفت بتفوق الامبراطور البيزنطي عليها[34].

وبنفس السوية كانت الألقاب مع الدول الأخرى التي تربطها بالمماليك البحرية علاقات دبلوماسية رسمية تتبادلها كدول مستقلة معترف بحدودها وملكيتها، ويمكننا ملاحظة ذلك من خلال علاقات الدولة مع الحبشة. فملك الحبشة المسمى "بالأمحري"، وهو لقب استحدثه له كتاب الإنشاء نسبة الى مدينة " امحرى " وهي مركز الدولة الحبشية، هو "أكبر ملوك الحبشان" لامتداد سلطانه على تسعة وتسعون ملكاً منهم سبعة مسلمين حسب ابن فضل الله العمري [35]. ولتأكيد احترام ديوان الإنشاء لصاحب الحبشة خصص له ابن ناظر الجيش لقب "نجاشي عصره " [36]، اعترافا بمكانته ودوره وايحاءاً بقوته المستمدة من التاريخ ، فنجاشي الحبشة كان له موقف هام في بدايات الدعوة الاسلامية، بقي موضع تقدير عند المسلمين لكل العصور، ومن هنا جاءت رغبة المسلمين في استخدام هذا اللقب للتأكيد على العلاقة الطيبة مع الحبشة في تلك الفترة.

على عكس من كان بحالة عدم وفاق مع الدولة المملوكية فيعمد ديوان الإنشاء الى الحط من قيمته بألقاب تلغي شرعية حكمه بنظر المسلمين، وهو ما يشهد عليه بروتكول المراسلات لأصحاب قبرص وسيس [37]، واصرار ديوان الإنشاء على نعتهما بلقب "متملك". ومصطلح المتملك لقب ذات مرتبة أقل من مصطلح ملك وهو يعني الشخص الذي يدعي بأنه حاكم أو يتصرف كملك، ويذكر القلقشندي أن هذا اللقب يطلق على ملوك ارمينيا وقبرصلأن مملكتاهما كانتا بأيدي المسلمين قبل أن تصبح تحت سيطرتهم [38]، هذا اللقب الذي يثبت بعض التحقير والتعييب لهذين الملكين من الممكن شرحه بالعلاقات السيئة بين اولئك الملوك وسلاطين المماليك والتي احتفظ بأخبارها مؤرخو المماليك في

(33) ابن ناظر الجيش، تثقيف التعريف، مصدر سابق، ص 28، القلقشندي، صبح الاعشى، مصدر سابق، ج8، ص 46.45.

(34) KOROBEINIKOV, D.A., « Diplomatic correspondence », *op. cit.*, p.62.

(35) ابن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، مصدر سابق، ص 49.48. كما استخدم كتّاب الإنشاء المملوكي في المكاتبات مع ملوك الحبشة لقب "الحطّي" أي الملك. انظر القلقشندي، صبح الأعشى، مصدر سابق، ج 5، ص 485.

(36) ابن ناظر الجيش، تثقيف التعريف، مصدر سابق، ص 30.

(37) كانت مدينة سيس، الواقعة بين مدينة حلب والدول اليونانية، العاصمة الملكية لملوك أرمينيا في كليكيا من عام 1182 حتى 1375. أصبح تاريخ هذه المدينة معروف نتيجة للمعارك الكثيرة التي خاضها سلاطين الدولة المملوكية ضد ملوكها. أنظر سرور (محمد جمال الدين) : دولة بني قلاوون في مصر الحالة السياسية و الاقتصادية في عهدها بوجه خاص، دار الفكر العربي، القاهرة، كان ديوان الانشاء المملوكي يطلق اسم التكفور على ملوكها، و هو اسم مستوحى من كلمة (تاغافو) الأرمنية، و تعني ملك أو أمير. أنظر DOZY, R., *Supplément au dictionnaire arabe*, vol. 1, Librairie du Liban, Beyrouth, 1991, p. 149.

(38) ابن ناظر الجيش، تثقيف التعريف، مصدر سابق، ص 33.32، القلقشندي، صبح الاعشى، ج8، مصدر سابق، ص 33، 51.

كتاباتهم، فالأرمن اعتبروا العدو الأكبر للاسلام بسبب علاقاتهم القوية وتحالفهم مع الايلخانيين في فارس والدول اللاتينية في الشرق[39] .

ورغم تشابه الألقاب الموجهة اليهم مع ألقاب حكّام بيزنطة والحبشة الا أنها كانت مختصرة جداً وذلك من أجل الإشارة الى المكانة المتواضعة أو القليلة التي يتمتع بها هذين الملكين بنظر كتّاب ديوان الإنشاء، فنجد أن العمري تجاهل القاب بروتكول المكاتبة الى ملوك قبرص ، اما ابن ناظر الجيش فأكتفى بالقول ان القاب ملك قبرص هي كألقاب ملك سيس، وأضاف الى ذلك بأنه لم يشاهد أي رسالة صادرة من الديوان أو واردة اليه من هؤلاء الملوك باستثناء رسالة كتبها الأمير اليوسفي بعد عقد معاهدة سلام بين الطرفين عام 764هـ/1362م[40]. طبعا هذه الملاحظة تشير الى أن سلاطين المماليك تجنبوا الدخول في علاقات مباشرة مع ملوك قبرص وذلك لاعتبارهم مغتصبين وأعداء للمسلمين. إنها محاولة من ديوان الإنشاء لإظهار الجفوة وتصغير مكانتهم وسلب شرعيتهم، وهذا ما يذكرنا بالحملة الصليبية القبرصية على مدينة الاسكندرية عام 767هـ/1365م[41]، و التي كان لها أثر مدوي في العالم الاسلامي بسبب نتائجها السيئة عليه، وفي العالم المسيحي لانها تعتبر الحملة الصليبية الاولى منذ اختفاء المملكة اللاتينية في الشرق قبل قرن.

هذا التنوع في الألقاب ومستويات التخاطب، يعكس طبيعة الفكر السياسي للمماليك، ورؤيتهم للعلاقات مع الدول، ويظهر أثر ثقافتهم الدينية في تنظيم تلك المراسلات، حيث كان الدين من المقومات الأساسية للمراسلات وصياغة الألقاب. فالدولة قد اتبعت سياسة اسلامية تقليدية تؤكد الحرص على كرامة المسلمين واعزاز شأنهم قبل غيرهم، خصوصا بعد انتقال مركز القوة من العباسيين في بغداد الى المماليك في القاهرة، وبروز الأجواء السنية الارثوذكسية واعتبار المماليك أنفسهم حماة الدين الاسلامي الجديد، ووصول فكرة الجهاد الى قمتها في تلك الفترة.

لكن طبيعة الدبلوماسية والمصلحة فرض على كتّاب ديوان الانشاء في المراسلات اعلاء مكانة حلفاء الدولة كما تظهر الجفوة لاعدائها، فقد نشطت علاقات المماليك وفق ما تمليه مصلحة الدولة على كل المستويات، فكانت كثرة ألقاب ملوك الدول الصديقة غير المسلمة تظهرالمودة والصداقة لتلك الدول، كالألقاب التي ميّز بها ديوان الإنشاء المملوكي امبراطور بيزنطة، طبعا كل ذلك ناتج عن رؤية الدولة السياسية بضرورة اقامة افضل العلاقات مع الدول التي تعتبرها حليفة لها على كافة المستويات، على أننا نخرج من هذا العرض بملحوظة هامة هي تقدم الحكام المعاصرين في فن السياسة وتمسكهم باداب المعاملة الدبلوماسية وقدرتهم على اخفاء نواياهم ومشاعرهم تجاه خصومهم.

---

(39) عند الحديث عن المكاتبة الى ملوك سيس، يذكر ابن فضل الله العمري، حادثة دخول الجيش الايليخاني بقيادة غازان خان الى منطقة الصالحية في مدينة دمشق و ابادة أهلها عام 700هـ/1300م، و ذلك بمساعدة من الجيش الارمني و ملكها. ابن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، مصدر سابق، ص 82.83،

(40) ابن ناظر الجيش، تثقيف التعريف، مصدر سابق، ص 32.33. الامير أولجاي اليوسفي من أهم رجالات الدولة المملوكية، في عهد السلطان الأشرف شعبان أصبح أتابكاً للجيش و رئيس البيمارستان المنصوري، ثم تزوج من خاوند بركة، أم السلطان الأشرف. بعد وفاتها تنازع اليوسفي مع الاشرف على تركة خاوند، انتهى النزاع بمقتل اليوسفي غرقاً عام 775هـ/1373م. أنظر ابن تغري بردي (أبو المحاسن ت. 869هـ/1470م) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، ج 11، مطبعة دار الكتب المصرية، 1938.1950، ص 47.50.

(41) كان ملك قبرص بطرس الأول لوجنان (1358م . 1369م)، يحلم باستعادة أمجاد مملكة بيت المقدس و الدويلات اللاتينية في الشرق. فقاد منذ بداية عهده، هجمات متكررة على شواطئ بلاد الشام و آسيا الصغرى. حول هذه الشخصية و حملته الصليبية على الاسكندرية، انظر النويري (محمد بن قاسم الاسكندراني ت. 772هـ/1373م) : الالمام بالاعلام فيما جرت به الاحكام و الامور المقضية في واقعة الاسكندرية، تح. عزيز عطية و ايتيان كومب، 7 أجزاء، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الهند، 1968.1976.

اللغة المستخدمة في الرسائل الدبلوماسية

إن دراسة كيفية عمل ديوان الإنشاء بالنسبة الى علاقة المماليك مع الدول المسيحية في الشرق، يحتّم دراسة اللغة المستخدمة في كتابة وإنشاء الرسائل، فمن المعروف أن ديوان الإنشاء المملوكي استخدم اللغة العربية في التراسل مع حكام الدول المسيحية. ويدعم هذا القول عدم الحصول على أي دليل يؤكد استخدام لغة أخرى. أما فيما يخص رسائل حكّام المسيحيين الى سلاطين المماليك فقد كتبت بلغاتهم الفرنجية، والاغريقية، والحبشية. ومن المعلوم أن الموظفين المسؤولين عن الكتابة كانوا جميعا يتكلمون اللغة العربية، ومع ذلك يبدو أن هؤلاء الكتّاب لم يكونوا في مجال اهتمام كتّاب الحوليات وكتّاب الإنشاء، حيث لا نجد لهم ذكر، على العكس من الكتّاب المسؤولين عن التراسل الى ملوك الايلخانيين على سبيل المثال. وبالرغم من ذلك فقد مكّننا البحث من التعريف علىأحد هؤلاء الكتّاب، وهو الكاتب محي الدين بن عبد الظاهر، الذي كان واحداً من أكبر وألمع الشخصيات في الفترة المملوكية الاولى.

كان ابن عبد الظاهر كاتباًللدولة، صاحب قلم بليغ تميزه الرويّة والرزانة أحياناً، وعدم الشفقة أحياناًأخرى، وأهّله ذلك لأن يحتل مكانة مرموقة لدى السلاطين الظاهر بيبرس، والمنصور قلاوون، والأشرف خليل. كما أنه ترأس بعض السفارات الى الحكّام [42]. لقد استلم منصب كاتب الدست و كان مساعداً لابنه فتح الدين الذي كان كاتب السّر أي صاحب ديوان الانشاء في عهد قلاوون وبقي فيه حتى وفاته [43]. كان يكتب النثر والشعر ذات نوعية جيدة أتقن من خلالها اعلان مواقف الدولة وتكلم بلسانها.

شافع بن علي الذي كان من أقرباء محي الدين بن عبد الظاهر، كتب عن عمه أنه كان خبيراً في فن الكتابة[44]. كما أن جميع مؤرخي الفترة المملوكية متفقين على مقدراته الأدبية،وبراعته البلاغية، وثقافته الكبيرة، وفصاحته، وعلى معرفته الأكيدة بكل ما يتعلق بمهمة الكتابة. نوعية نثره كانت مشهورة جداًحتى بعد قرن من وفاته، فيذكر القلقشندي أن عائلة ابن عبد الظاهر كانت من "فحول الكتّاب و شيوخ اهل الترسل" [45]. و يصفه ابن تغري بردي بأنه "من سادات الكتّاب و رؤسائهم و فضلائهم"[46]. جميع هذه الصفات جعلت من ابن عبد الظاهر الكاتب المثالي في عيون معاصريه، ولم يكن قلمه قاصراً على كتابة الرسائل الدبلوماسية، وإنما كان أيضا ينشئ المراسيم، وكتب الشفاعات، واعلان

(42) أرسل الظاهر بيبرس، ابن عبد الظاهر في ثلاثة سفارات، الأولى عام 666هـ/1267م الى هوغو الثالث ملك عكا و قبرص للتصديق على هدنة سلام. الثانية عام 667هـ/1268م الى بوهمند السادس امير طرابلس للتفاوض بشأن هدنة بين الطرفين. الثالثة عام 669هـ/1270م الى قائد الاسبتارية في انطرسوس للتصديق على هدنة سلام بينهما. ابن عبد الظاهر (محي الدين ت. 693هـ/1292م) : الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تح. عبد العزيز خويطر، الرياض، 1976، ص 331، 333، و 378، شافع بن علي (ت. 729هـ/1328م) : حسن المناقب السيرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تح. عبد العزيز خويطر، مطبعة القوات العسكرية السعودية، الرياض، 1989 ، ص 127، 128، 137، و 138، ابن الفرات (محمد بن عبد الرحمن ت. 804هـ/1405م) : تاريخ الدول و الملوك، تح و ترجمة ليونس، مطبعة هيفر و ابنائه، 1971، ص 165 و 186.

(43) القلقشندي، صبح الأعشى، مصدر سابق، ج 1، ص 104 و 137، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج5، ص 33.32.

(44) شافع بن علي، حسن المناقب، مصدر سابق، ص 132.

(45) القلقشندي، صبح الأعشى، مصدر سابق، ج14، ص 70.

(46) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج 8، ص 32.

النصر، وكتب العهود والمعاهدات بين المماليك والدول المسيحية[47]، وكذلك كتب العهود والمواثيق مع الدول الإسلامية، مستخدما في كتابتها النثر المسجع والصور البيانية. هذه الوثائق حفظت فيما بعد في كتب الإنشاء لتخدم الكتّاب الجدد كأمثلة يقتدون بها.

إن المهارات الأدبية لهذه الشخصية مميزة في الإدارة المملوكية، لكن مع ذلك يجب الا تكون استثنائية، ففي ديوان الإنشاء كان من الجاري استخدام النثر الايقاعي (السجع) و التورية في الرسائل الدبلوماسية مع حكام الدول المسيحية. هذا الأسلوب كان أحد أهم سمات النثر في هذه الفترة. إنه الوسيلة الأسهل من أجل تجميل النص ودعمه بسلاح اللغة القوي، فهو يستخدم نفس النهايات و القوافي في نهاية مجموعة من الكلمات. القلقشندي يعالج هذه النقطة أي السجع في مكانين في كتابه. فيعرض اولاً كيفية استخدام السجع في الرسائل الشخصية للسلطان،فالسجع هنا يشكل علامة على الاحترام اتجاه الحكّام و الشخصيات المهمة [48]. وفي مروره الثاني، يذكرنا القلقشندي ببعض القواعد المأخوذة من كتاب ابن شيث معالم الكتابة فيقول:" وأما السجع فقد ذكر ابن شيث أنه لا يفرق فيه بين الاعلى للادنى و بالعكس، و انه بما يكتب عن السلطان أليق لكن قد ذكر بعض المتأخرين أن الكتابة بالسجع نقص في حق المكتوب اليه وقضيته أنه لا يكتب به الا من الاعلى للادنى، الا ان الذي جرى عليه مصطلح كتّاب الزمان تخصيصه ببعض الكتب دون بعض من الجانبين"[49].

و قصارى القول، نجد في الرسائل الرسمية المكتوبة في ديوان الإنشاء الى صالح الحكّام المسيحيين، الكثير من الجمل الايقاعية والسجع وخصوصا في المقدمات التمهيدية للرسائل، أي في الألقاب ومن أجل وصف المعارك. هذا دليل على أن ذاك الإسلوب هو وسيلة من أجل التأثير وإحداث الصدمة وإدهاش الطرف الاخر. وهذه الإجراءات في الإسلوب هي اثبات لتكلّف ثقافة سلاطين المماليك، والتي تعكس قوتهم وكبريائهم. كما إن الاستخدام الغزير للمترادفات في تلك الرسائل، والتي كانتمن سمات هذا العصر والعصر الذي سبقه،والتي كانت تعتبر أيضاً علامة على غنى الإسلوب وعلى المهارة والموهبة والهدف الواضح، من الممكن شرحها بالمبالغة في التركيز على الجوانب الشكلية والبلاغية للكتابة وفصاحة ألفاظها لدرجة تبدو كنموذج لكتّاب تلك المرحلة .

الترجمة و التراجمة

أما فيما يخص رسائل حكّام المسيحيين الى سلاطين المماليك فقد كتبت بلغاتهم الفرنجية، والاغريقية، والحبشية كما ذكرنا سابقاً.ولهذا كان المسلمون يدركون منذ أمد بعيد أهمية الترجمة واحتياج الكاتب الى معرفة اللغات الأعجمية من أجل التغلب على مشكلة الاختلاف في اللغة. وهناك من الروايات ما يدل على اهتمام النبي بذلك وحثّه لكتّابه على تعلمها[50]. ويسجل القلقشندي استمرار اهتمام المسلمين بأن يعرف كتّابهم المختصين اللغات الأجنبية لأهمية ذلك في المراسلات الدولية، وقد قال في ذلك :"ولا يخفى أن الكاتب يحتاج في كماله الى معرفة لغة الكتب التي ترد عليه لملكه أو أميره، لفهمها ويجيب عنها من غير اطلاع ترجمان عليها، فانه اصون لسر ملكه وأبلغ في قصده" [51].وهناك ما يفيد

(47)كتب ابن عبد الظاهر الرسالة المرسلة من بيبرس الى بوهمند امير طرابلس و انطاكية بعد سقوط هذه الاخيرة عام 666هـ/1267م. كما كان مؤلف الرسائل المرسلة الى حكّام الفرنجة بعد سقوط حصني الاكراد و عكار عام 669هـ/ 1270م،و كتب رد السلطان بيبرس على رسالة ملك الحبشة عام 673هـ/1274م. كما أنشأيضاً هدن السلام مع مملكة عكا عام 682هـ/ 1283مو مع حاكم صور عام 684هـ/1285م.

(48) القلقشندي، صبح الأعشى، مصدر سابق، ج8، ص 24.

(49) القلقشندي، صبح الأعشى، نفس المصدر، ج6، ص 307.

(50) توفيق، الدبلوماسية الاسلامية، مرجع سابق، ص 150.

(51) القلقشندي، صبح الأعشى، مصدر سابق، ج1، ص 166،165.

بوجود موظفين مختصين بالترجمة يعملون في الديوان. ويصف القلقشندي اجراءات الترجمة في الديوان قائلا أن عقب ورود الرسائل من الفرنجة، كان المسؤولون بالديوان يتسلمونها ويفحصون ختمها ثم يفكونها. ويترجمها بعد ذلك الترجمان بالأبواب السلطانية. وكان الترجمان يكتب الترجمة في ورقة مفردة ويلصقها بالكتاب الوارد، ثم يكتب الرد من واقع النص المعرب[52].وكان الكتّاب يحرصون على حفظ الرسائل الافرنجية الواردة على الديوان، ويعملون فهرساً خاصاً للاحتفاظ بها وبترجمتها الى العربية في قسم المحفوظات المعهود به الى الخازن[53].

لقد كانت الكتب الواردة على ديوان الإنشاء المملوكي باليونانية مرسلة من ملوك الروم، وأكبرهم صاحب القسطنطينية الذي كان يعبر عنه أحياناً باسم الأشكري أو اليشكري، وهو تحريف للاسم لسكريس [54]. ويظهر أن العلاقات الدبلوماسية بين المماليك والبيزنطيين كانت جيدة، وترددت الرسل والسفارات بين الطرفين منذ أيام الظاهر بيبرس وحتى سقوط القسطنطينية على أيدي الأتراك في منتصف القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي.أما أهم ما عرّب عن اللغة اليونانية إلى العربية فهو المعاهدات وما يتعلق بها من أيمان يحلف عليها المتعاهدان، فقد وردت نسخة يمين من ملك القسطنطينية في سنة 680هـ/1281م وتم تعريبها في الديوان[55].كما اصطلح مؤرخو ديوان الإنشاء المملوكي على وصف المكاتبات الواردة من فرنج الساحل الشامي والجنويين والبنادقة والقشتاليين وغيرهم من الأوروبيين بأنها مكتوبةباللسان الفرنجي وقلمه، وتكون مثل هذه الكتب مختومة، فإذا ورد كتاب منها إلى السلطان المملوكي "فُك ختمُه"، وترجم بترجمة الترجمان بالأبواب السلطانية، وكتب تعريبه في ورقة مفردة، وألصقت به"[56].

والمعروف أن اللغة السائدة بين الفرنجة في الساحل الشامي بوجه عام هي الفرنسية التي استخدمت في كتابة الوثائق الرسمية منذ اقامة الملك الفرنسي لويس التاسع في عكا بين عامي 1250 و 1254 م، ولكن مع ذلك استخدمت كل أقلية فرنجية لغتها الخاصة بها [57]، وأن اللغة السائدة في الجمهوريات الإيطالية، وفي إسبانيا القشتالية، وفي فرنسا الفرنسية، فهل يعني ذلك أن الكتب كانت ترد إلى ديوان الإنشاء المملوكي بكل هذه اللغات مع أن مصادر ديوان الإنشاء المملوكي تحدثت عن لسان إ فرنجي واحد؟ يبدو أن مصطلح اللسان الفرنجي، مصطلح عام يطلق على اللاتينية وما تفرع عنها من اللغات الأوروبية: الفرنسية والإيطالية والإسبانية [58].وأهم ما ترجم عن اللغة الفرنجيةالهدن، كالهدنة التي وقعها المنصور قلاوون مع فرنج عكا في عام 682هـ / 1283م، و الأيمان، وهي متعلقة بالهدن والموادعات التي تقع بين المماليك والفرنج وعادة ما يقوم التراجمة بترجمتها، ثم يحلف عليها الرسل الموفدون من الفرنج، وتؤخذ خطوطهم عليها بحضور الأساقفة[59].

---

(52)توفيق، الدبلوماسية الاسلامية، مرجع سابق، ص 150.

(53) القلقشندي، صبح الأعشى، مصدر سابق، ج 1، ص 135.

(54) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، مصدر سابق، ص 88، ابن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، مصدر سابق، ص 89.86، الدروبي (سمير) : "حركة الترجمة و التعريب في ديوان الانشاء المملوكي (البواعث و اللغات و المترجمون)"، مجلة مجمع اللغة العربية الاردنية، ج 26، 2002، ص 46.

(55) عقدت هذه المعاهدة بين المنصور قلاوون والامبراطور البزنطي ميشيل باليولوج. انظر ابن عبد الظاهر، تشريف الايام و العصور في سيرة الملك المنصور، تح. مصطفى كامل، وزارة الثقافة و الارشاد القومي، القاهرة، 1961، ص 207، القلقشندي، صبح الأعشى، المصدر نفسه، ج14، ص 76.75، ابن الفرات، تاريخ الدول و الملوك، مصدر سابق، ج 7، ص 229. 233.

(56) القلقشندي، صبح الأعشى، المصدر نفسه، ج 1، ص 123.

(57) عاشور (سعيد عبد الفتاح) : الحركة الصليبية، مكتبة الانجلو المصرية، ج 1، القاهرة، 1970، ص 482.

(58) الدروبي، حركة الترجمة، مرجع سابق، ص 47.

(59) ابن عبد الظاهر، تشريف الايام، مصدر سابق، ص 168.

وبالنسبة للغة الحبشية،تدل ملاحظات بعض المؤرخينالعاملين بديوان الإنشاء المملوكي على معرفة دقيقة بهذه اللغة ولهجاتها المختلفة، فالعمري في كتابه "مسالك الأبصار"، يذكر عن الأحباش:"مع كونهم جنساً واحداً ينطقون بألسنة شتى تزيد على خمسين لساناً، وقلمُ قرائتهم واحد وهو الحبشي، يكتب من اليمين إلى الشمال، عدته ستة عشر حرفاً..."[60].وعلى الرغم من هذه المعرفة بألسنة الحبش المتعددة وقلمهم الواحد إلا أن القلقشندي لم يوضح لنا اللغة الذي كتب بها الأحباش للمماليك. ولكن يظهر أن الأحباش كانوا يرسلون رسائلهم إلى المماليك باللغة الحبشية التي حفظ لنا ابن عبد الظاهر بعضاً منها بعد ترجمتها من الحبشية إلى العربية عن طريق بطارقة الاسكندرية القبط[61].

وعلى الرغم من أهمية الترجمة والمترجمين في قيام العلاقات السياسية و الدبلوماسية بين المماليك والدول الأخرى، الا أن المصادر لا تلقي ما يكفي من الأضواء على طبيعة هؤلاء التراجمة و طريقة اعدادهم. لكن قراءة بعض كتب الطبقات والحوليات تساعدنا على تكوين فكرة عامة عنبعض الاشخاص الذين خدموا كتراجمة لدى سلاطين المماليك، ويمكن تقسيمهم الى :

امراء المماليك :

كان الأمراء المماليك، وبالتحديد البحرية يتكلمون العديد من اللغات التركية ... القفجاقية ....الخ التي استخدموها في اطار وظائفهم العسكرية كما في اطار حياتهم اليومية، وتنوع اصولهم الاثنية أدى الى أن العديد من اللغات الأخرى واللهجات سواءُ غربية أو شرقية، كانت قد عرفت لدى بعضهم، الاغريقية والفارسية والمغولية والايطالية.أما اللغة العربية فقد كانت وسيلة الاتصال مع السكان المحليين، لذلك كان من السهولة ايجاد تراجمة ثنائيي اللغة بينأعضاء النخبة المملوكية. ونجد في المصادر المملوكية بعض القصص حول هؤلاء المماليك،والذين خدموا كسفراء لدى الفرنجة بسبب مهاراتهم اللغوية ومنهم فارس الدين اقطاي الصالحي. كان الامير فارس الدين أقطاي الصالحي المستعرب مملوكاً للصالح أيوب (ت. 647هـ/1249م)، و بعد وفاة هذا الامير، أرسله السلطان معز الدين أيبك الى الفرنجة في سفارة عام 655هـ/1256م[62]. استلم منصب أتابك العسكر، و شارك في العديد من المعارك المصيرية كمعركة عين جالوت التي انتصر فيها المماليك على المغول عام 658هـ/1260م. وفي عهد الظاهر بيبرس عينه نائباً للسلطنة[63]، قبل أن يرسله بسفارة الى مقدم الاسبتارية عام 673هـ/1274م للمفاوضة بشأن فك أسر بعض المسلمين وذلك لنباهته وشجاعته. توفي في نفس العام بعد أن مرض مرضاً شديداً وله من العمر سبعون عاماً [64].كما

---

(60) الدروبي، حركة الترجمة، مرجع سابق، ص 49.

(61) أرسل ملك الحبشة يوكونو أملاك (1285.1270) رسالة الى السلطان بيبرس يطلب منه الموافقة على ارسال بطريرك الى الكنيسة الحبشية التي كانت تابعة للكنيسة القبطية المصرية في الاسكندرية عام 673هـ/1274م. انظر ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، مصدر سابق، ص 25.24، ابن ايبك الدوادار (أبو بكر عبد الله ت. 734هـ/1335م) : كنز الدرر و جامع الغرر. الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية، ج8، تح. اولريش هامان، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه، القاهرة، 1971، 175.174، القلقشندي، صبح الأعشى، مصدر سابق، ج8، ص 41، 121. كما تلقى المنصور قلاوون رسالة من ابن يوكونو املاك غي عام 689هـ/1290م ، يكرر فيها طلب بطريرك مصري للكنيسة الحبشية. انظر ابن عبد الظاهر، تشريف الايام، مصدر سابق، ص 170.

(62) ابن شداد (عز الدين محمد ت. 684هـ/1285م) : تاريخ الملك الظاهر، تح. عبد العزيز خويطر، فرانز ستينر فيرلاج، ويسبادن، 1983، ص113.112.

(63) الصقاعي (ابن أبي الفخر ت. 724هـ/1325م) : تالي كتاب وفيات الاعيان (725.660)، تح. جاكلين سوبليه، المعهد الفرنسي في دمشق، دمشق، 1947، ص 11.

(64) ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، مصدر سابق، ص 113، الصقاعي، تالي وفيات، نفس المصدر، ص 11، شافع بن علي، حسن المحاضرة، مصدر سابق، ص 156.155.

كان الاميرينسابق الدين وعز الدين ايبك الكبكي من المساهمين في عملية الترجمة في العهد المملوكي. فقام الاثنان بترجمة نصوص المعاهدات التي كان يرسلها الفرنجة الى اللغة العربية للتصديق عليها. كما خدم الامير عز الدين ايبك الكبكي كمترجم في السفارة التي أرسلها بيبرس الى ملك اشبيلية عام 674هـ/1275م، والسفارة التي أرسلها قلاوون الى ملك قشتالة سانشو الرابع عام 689هـ/1290م[65].ولعل من أشهر الامراء التراجمةكان الامير سيف الدين بلبان الرومي، الذي كان من أبرز المقربين الى السلطان بيبرس و موضع ثقته.استلم فارس الدين العديد من الوظائف الحيوية السياسية والادارية في السلطنة المملوكة، وأهمها تكليفه "بالقصاد" أي بالجواسيس [66].ويخبرنا ابن عبد الظاهر المعاصر لتلك الفترة، بأن الظاهر بيبرس استخدم سيف الدين في احدى المهام الاكثر أهمية، وهي ترجمة المراسلات مع الفرنجة، بالإضافة الى إرساله كرسول لدى هيتوم الاول ملك أرمينية الصغرى، ولدى أمير طرابلس بوهمند السابع[67].

هذه الشواهد تؤكد أن اللغات انتقلت مع القادمين الى الموطن الجديد، مما أهلهم للقيامبدور هام في الترجمة للعديد من اللغات المغولية والفرنجية واليونانية وغيرها، وكان الامراء التراجمة يتمتعون بثقة السلطان المطلقة وكانوا من المقربين جداً له. و ما يؤكد هذا الدور الهام، ما قاله القلقشندي في حديثه المتعلق بكتابة الاختصارات في المراسلة الواردة الى الدواوين السلطانية، فهو يذكر :"ان كانت الكتب بالتركية المغولية ونحوها كالكتب الواردة عن بعض القانات من ملوك الشرق فانه يتولى ترجمتها من يوثق به من اخصاء الدولة من الامراء او الخاصكية ونحوهما ممن يعرف ذلك اللسان وان كان بالرومية أو الفرنجية ونحوهما من اللغات المختلفة ترجم على نحو ما تقدم وكتب ملخصه وقرئ على السلطان والتمس جوابه"[68].

الأسرى :

كانت رغبة المماليك دائمة في تحقيق انتصارات عسكرية فهاجموا جزيرتي رودس وقبرص، وتصدوا لهجمات الصليبيين التي لم تنقطع على السواحل رغم خروج الصليبيين من كل دويلاتهم في المشرق ، تلك المواجهات نتج عنها وقوع عدد كبير منهم في الاسرى وكان من بينهم من له دور ومساهمة واضحة في عملية الترجمة. رغم قلة المعلومات التي أوردها المؤرخون المعاصرون لتلك الفترة حول عدد الأسرى المسيحيين، و أوصولهم و الأنشطة التي كانوا يقومون بها خلال فترة أسرهم، يمكن استخلاص بعض الاشارات حول عملهم بالترجمة و خصوصا ترجمة الرسائل الواردة الى سلاطين المماليك، فقد ذكر شافع بن علي صاحب سيرة المنصور قلاوون،" أن أحد عيون المماليك بعكا وهو جوان خَنْدَق، كتب إليه أن أحد أمراء المنصور قلاوون هو كونْدك، قد كتب إلى مقدمي الإفرنج بعكا بأنه عازم على قتل قلاوون، فعندما وصلت رسالة الجاسوس جوان إلى قلاوون:"رسّم(احتجز) الصاحب فتح الدين بن عبد الظاهر صاحب الديوان على التراجمة، وهم: السابق والاسبتاري بحيث لم ينفس لهم في الاجتماع بأحد من خلق الله تعالى خيفة أن يشيع هذا الخبر"[69]. من الأرجح أن هذين الشخصين السابق و الاسبتاري، كانا من أسرى الدولة المملوكية.

---

(65) ابن عبد الظاهر، تشريف الايام، مصدر سابق، ص 112، 114 و 168.

(66) الصفدي (صلاح الدين ت. 762هـ/1363م) : الوافي بالوفيات، تح. تركي مصطفى و أحمد الأرناؤوط، ج 10، دار احياء التراث العربي، بيروت، 2000، ص 282، الصقاعي، تالي وفيات، مصدر سابق، ص 53، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 349.

(67) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، مصدر سابق، ص 329، شافع بن علي، حسن المحاضرة، مصدر سابق، ص 133، ابن الفرات، تاريخ الدول و الملوك، مصدر سابق، ج7، تح. قسطنطين زريق و نجلا عز الدين، ص 40.

(68) القلقشندي، صبح الاعشى، مصدر سابق، ج6، ص 216.

(69) شافع بن علي، الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، تح. عمر عبد السلام التدمري، المكتبة العصرية، بيروت، 1998، ص 87.85.

ومن الأسرى الذين عملوا تراجمة بلبان الجنوي الذي يمكننا أن نعرف عنه وعن دوره في الترجمة من خلال ما ذكره لنا ابن فضل الله العمري (ت749هـ/1348م) الذي كان نائباً لوالده رئيس ديوان الإنشاء في أيام الناصر محمد بن قلاوون، ولكن العمري اختلف مع السلطان فأودع السجن، ويذكر أنه تعرّف في السجن على بلبان الجنوي الذي أمدّه بأوثق المعلومات عن الإمارات التركية في بلاد الأناضول، وعن الممالك الرومية مثل القسطنطينية وطرابزون.

وحكى لنا العمري قصة الترجمان بلبان الجنوي قائلاً: "بلبان الجنوي عتيق الأمير الكبير بهادر المعزي، وهو ممن له الخبرة التامة بما يحكيه، وهو الذي أفاد كيفية تصوير هذه البلاد، وهو من بيت حكم في جنوة، اتفق أنه جمعت بيني وبينه المقادير في الاعتقال وعنه أخذت ما قال" [70]. والناظر في مسالك الأبصار يجد أن هذا الترجمان قد أمدّ العمري بمعلومات وافرة وقيمة تتعلق بـ: حدود وعملة واقتصاد وسكان وجيوش وأمراء وجغرافية جميع الإمارات التركية الواقعة في آسيا الصغرى، والممالك الأوروبية، ونظام الحكم فيها، وملوكها وأرضها وسكانها ونظمها الإدارية و.... الخ[71].ربما قدم بلبان الكثير من المعلومات، لكن ليس معروفا ما هو حجم دوره في الترجمة فنحن لا نملك أي شهادة مكتوبة، والمصادر لا تذكر له أي شيئ يدل على مساهماته، ولكن يمكن الافتراض كونه من أصل جنوي معرفته بعدة لغات وبالتالي ربما استعان به سلاطين المماليك في أمور تتعلق بالترجمة.

رجال الدين المسيحيين :

كما استخدم المماليك رجال الدين المسيحيين الذين يتقنون اللغة العربية بالإضافة الى العديد من اللغات الاجنبية في أعمال الترجمة، فقد كان هناك أعداداً كبيرةُ من المسيحيين على أراض الدولة يمثلون مختلف الطوائف وكانت الاسكندرية مركزاً لكرسي بطريرك اليعاقبة الذي يمثل أقباط مصر ونصارى النوبة والحبشة وكانت القاهرة هي من يعين بطريركاًللحبشة، ومما يدل على ذلك، ما ذكره ابن عبد الظاهر عن وصول رسالة مكتوبة من الحبشية من ملك الحبشة الى بطريرك الاسكندرية يطلب منه تعيين بطريرك لكنيسة الحبشة[72].

أما بطريرك الاغريق الملكاني في الاسكندرية، الذي كان يتقن اليونانية واللاتينية، فقد اشتغل كمترجم للرسائل الواردة من ملوك بيزنطة الى السلطان المملوكي، كما أرسل في السفارات المملوكية الى القسطنطينية، وبالتالي كانت الإستعانة به والاستفادة منه دائمة، وهو ما يبين حجم الدور الدبلوماسي الذي لعبته البطريركية في الخارج. هذه الممارسة لم تكن لدى المماليك فقط، فقد كانت موجودة أيضا لدى الامبراطورية المغولية ثم الايلخانية ، فرجال الدين المسيحيين المحليين كالنساطرة والمبشرين، قد خدموا هاتين الدولتين كسفراء ومترجمين للرسائل التي تم تبادلها بين الخانات وملوك اوروبا[73].

خاتمة

يتضح مما سبق أن ديوان الانشاء خاطب ملوك الدول المسيحية بألقاب متناغمة مع مستوى العلاقات، فكتاّب الإنشاء عرفوا الأوضاع الحقيقية للعلاقات التي أقامها المماليك مع الحكّام المسيحيين، وهي علاقات قوة قام البروتكول بإعادة نقلها، والتعبيرعنها بكلمات وصيغ أدبية تعكس طبيعة العلاقة. فديوان الإنشاء الذي هو بمثابة وزارة الخارجية في

(70) الدروبي، "حركة الترجمة"، مرجع سابق، ص 29.28.

(71) ابن فضل الله العمري، التعريف، مصدر سابق، ص 55.51.

(72) ابن عبد الظاهر، تشريف الايام، مصدر سابق، ص 173.172.

(73) SINOR, D., « Interpreters in Medieval Inner Asia »,*Asian and African Studies*, vol. 16, 1882, p. 293-320.

أيامنا هذه، كان كما رأينا الجهاز الإداري المختص الذي تولى المراسلات الرسمية للدولة، ولم يبلغ ديوان الإنشاء في أي من الممالك الإسلامية، ما بلغه في الديار المصرية أيام المماليك من حيث التنظيم وتعدد الوظائف والاختصاص. والواقع أنه كان جهازاً محكم التنظيم يعمل فيه موظفون أكفاء مدربون، وكان عليهم تحرّي الدقة في كل مرحلة من مراحل عملهم. ومما يدل على شدة الإهتمام بنظم العمل في هذا الديوان، وما يصدر عنه من مكاتبات رسمية كانت تلك المؤلفات العديدة التي وضعها بعض كبار المسؤولين بديوان الانشاء، والتي كانت بمثابة دساتير دقيقة تعرضت لبيان المؤهلات المطلوبة في الكتّاب الذين يعملون به، والتنظيمات الإدارية لهذا الجهاز وسير العمل فيه، وضبط ما يصدر عنه من الرسائل، وكذلك القواعد والرسوم التي يجب اتباعها في المكاتبات واختلافها وفقا لمكان وظروف من توجه اليهم ووفقا للموضوعات والأغراض التي ترسل من أجلها.ويكفي للدلالة على اهمية ديوان الإنشاء ودوره المحوري تلك المتطلبات التي كان من الواجب توافرها في الكتّاب المنشئين، لتعطينا فكرة واضحة عن المستوى الفكري والإداري الرفيع الذي كان عليهم ان يصلوا اليه حتى يتمكنوا من أداء عملهم أداءاً حسناً، حيث يشترط فيهم مستوى عال من الكفاءة والثقافة والدراية السياسية.

وديوان الإنشاء لم يكن قادراً على القيام بمهمته للتغلب على الاختلاف اللغوي والثقافي في المراسلات الدبلوماسية في ظل تنوع لغات الدولة ونشاط علاقاتها الخارجية مع تلك الدول المحيطة التي كانت تتكلم لغات غير لغتها، لولا وجود المترجمين الذين مارسوا دوراً هاماً، ساهم في دعم علاقات الدولة التي اتسعت فيها حركة الترجمة بسعة امتدادها، فمساهمات المترجمين ربما كانت عاملاً في دعم تبني المماليك لخيار الدبلوماسية، بجعلها العمل أكثر مرونة وسهولة من خلال تسهيل التواصل ومعرفة خطط وطبيعة التفكير السياسي عند الدول الأخرى.

المصادر و المراجع

أولاً. المصادر

1. ابن ايبك الدودار (أبو بكر عبد الله ت. 734هـ/1335م) : كنز الدرر و جامع الغرر. الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية، ج8، تح. اولريش هامان، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه، القاهرة، 1971.2.

2- ابن تغري بردي (أبو المحاسن ت. 869هـ/1470م) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، ج 11، مطبعة دار الكتب المصرية، 1938.1950.

3. ابن شداد (عز الدين محمد ت. 684هـ/1285م) : تاريخ الملك الظاهر، تح. عبد العزيز خويطر، فرانز ستينر فيرلاج، ويسبادن، 1983.

4. ابن عبد الظاهر (محي الدين ت. 693هـ/1292م) : الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تح. عبد العزيز خويطر، الرياض، 1976.

. تشريف الايام و العصور في سيرة الملك المنصور، تح. مصطفى كامل، وزارة الثقافة و الارشاد القومي، القاهرة، 1961.

5. ابن الفرات (محمد بن عبد الرحمن ت. 804هـ/1405م) : تاريخ الدول و الملوك، تح و ترجمة ليونس، مطبعة هيفر و ابنائه، 1971، ج7، تح. قسطنطين زريق و نجلا عز الدين، مطبعة الجامعة الامريكية، بيروت، 1942.1936.

6. ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد ت. 749هـ/1349م) : التعريف بالمصطلح الشريف، ت. محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988.7.

7–ابن ناظر الجيش (تقي الدين ت. 786هـ/1384م) : تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، ت. فيسيلي روبرت، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1987.8

8. شافع بن علي (ت. 729هـ/1328م) : حسن الناقب السيرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تح. عبد العزيز خويطر، مطبعة القوات العسكرية السعودية، الرياض، 1989. . الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، تح. عمر عبد السلام التدمري، المكتبة العصرية، بيروت، 1998.

9. الصفدي (صلاح الدين ت. 762هـ/1363م) : الوافي بالوفيات، تح. تركي مصطفى و أحمد الأرناؤوط، ج 10، دار احياء التراث العربي، بيروت، 2000.10.

10– الصقاعي (ابن أبي الفخر ت. 724هـ/1325م) : تالي كتاب وفيات الاعيان (725.660)، تح. جاكلين سوبليه، المعهد الفرنسي في دمشق، دمشق، 1947.11.

11– القلقشندي (شهاب الدين أحمد ت. 821هـ/1418م) : صبح الاعشى في صناعة الانشاء، 14 جزءاً، المطبعة المصرية، القاهرة، 1919.12.1913.

12–المقريزي (تقي الدين أحمد ت. 841هـ/1442م) : المواعظ و الاعتبار في ذكر الخطط و الأثار، ج 3، ت. أحمد فؤاد السيد، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، لندن، 2002.13.

13–النويري (محمد بن قاسم الاسكندراني ت. 772هـ/1373م) : الالمام بالاعلام فيما جرت به الاحكام و الامور المقضية في واقعة الاسكندرية، تح. عزيز عطية و ايتيان كومب، 7 أجزاء، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الهند، 1976.1968.

ثانياً. المراجع العربية

1. الباشا (حسن): الألقاب الاسلامية في التاريخ و الوثائق و الاثار، الدار الفنية للنشر و التوزريع، القاهرة، 1989.

2. توفيق (عمر كامل): الدبلوماسية الاسلامية و العلاقات السلمية مع الصليبين، دراسات تحليلية وثائقية في التاريخ الدبلوماسي (690.491هـ/1291.1097م)، مؤسسة شباب الجامعة، 1986.

3. حبشي (حسن): ديوان الانشاء : نشأته و تطوره، أبو العباس القلقشندي و كتابه صبح الاعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973، ص 97.4.81.

4.الدروبي (سمير) : "حركة الترجمة و التعريب في ديوان الانشاء المملوكي (البواعث و اللغات و المترجمون)"، مجلة مجمع اللغة العربية الاردنية، ج 26، 2002، ص 46.

5. سرور (محمد جمال الدين) : دولة بني قلاوون في مصر الحالة السياسية و الاقتصادية في عهدها بوجه خاص، دار الفكر العربي، القاهرة، 1980.

6. طليمات (عبد القادر أحمد): وثائق صبح الاعشى، أبو العباس القلقشندي و كتابه صبح الاعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص 144.117. .

7. عاشور (سعيد عبد الفتاح): كتاب "صبح الاعشى" مصدر لدراسة تاريخ مصر في العصور الوسطى،أبو العباس القلقشندي و كتابه "صبح الاعشى"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973، ص 70.23.

.. الحركة الصليبية، مكتبة الانجلو المصرية، ج1، القاهرة، 1970.8.

8.عنان (محمد عبد الله): أبو العباس القلقشندي و كتابه "صبح الاعشى"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973، ص 20.11.

ثالثاً. المراجع الاجنبية

1- ABEL, A., « D❶r al-✦arb », *EI*^{2}, vol. II, p. 129-130.
2- BAUDEN, F., « Mamluk era documentary studies: The state of the art », *M.S.R.*, vol. 9, n. 1, 2005, p. 15-60.
3- DOZY, R., *Supplément au dictionnaire arabe*, vol. 1, Librairie du Liban, Beyrouth, 1991.
4- Favereau, F., « Comment le sultan mamlouk s'adressait au Khan de la Horde d'Or. Formulaire des lettres et règle d'après trois manuels de chancellerie (1262-1430), *Annales Islamologies*, vol. 41, 2007, p. 59-95.
5- KOROBEINIKOV, D.A., « Diplomatic correspondencebetween Byzantium Mamluk in the fourteenth century », Al-Masaq, vol. 16, n. 1, 2004,p. 53-74.

6-PENDINI, M. P., « Mamluk Lions and Venetian Lions 1960-1961 », E.J.O.S., vol.7,2004, n. 21, p. 1-17.

7- ROEMER, R., « Insh❶' », *EI*^{e}, vol. III, p. 1273.

8-SINOR, D., « Interpreters in Medieval Inner Asia », *Asian and African Studies*, vol. 16, 1882, p. 293-320.